الباب الثانى

شعر الصعاليك

الفصل الأول

ديوان الصعاليك

١

مصادره :

يقف الدارس لشعر الصعاليك أمام مسألة بالغة الخطر ، تواجهه منذ البداية ، وتوشك أن تنصرف به عن المضى فى دراسته ، إذ هى عماد هذه الدراسة ، والمحور الذى تدور حوله ، تلك هى مسأله مصادر هذا الشعر : أين هى ؟

ومن الحق أن نسجل قبل الإجابة عن هذا السؤال أن مسألة مصادر الشعر الجاهلى من المسائل التى تواجه الباحثين فيه منذ البداية ، ذلك لأن أكثر مجموعات شعر القبائل التى تزخر بأسمائها كتب التراجم قد فُقدت ، ولم يصل إلينا منها إلا القليل ، أما دواوين الشعراء فقد تركزت عناية الرواة والشراح بدواوين المشهورين منهم ، أما أولئك الذين لم يكن لهم خطر فى نظرهم فلم يكن حظهم من العناية بهم كبيراً . هذا إلى أن عمل هؤلاء الرواة والشراح قد اتجه اتجاهاً فنيًّا أو لغويًّا خالصاً ، أما فكرة جمع الوثائق الأدبية التى تمثل الجوانب الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو غير ذلك من جوانب العصر المختلفة فشىء وراء اهتمام هؤلاء الرواة ، مع ما له من أهمية للباحث الأدبى والباحث التاريخى على حد سواء . وليس من شك فى أن هؤلاء الرواة لو نظروا إلى عملهم على أنه عمل تاريخى يحرص على تسجيل كل جوانب العصر الذى يجمعون وثائقه الأدبية ، حتى تلك التى تصور انحطاطه أو ضعفه ، لتغير وجه التاريخ الأدبى للعصر القديم تغيراً كبيراً .

أما أولئك المغمورون من الشعراء فقد بُعثرتْ مجموعاتهم الشعرية بين ثلاثة مصادر : كتب الثقافة العربية المختلفة ، كل منها يستغلها لأغراضه الخاصة وفى دائرته الخاصة ، ثم مجموعات المختارات من شعر الشعراء ، وهذه — بطبيعة الحال — كانت متأثرة بذوق أصحابها ، كما أنها كانت محصورة داخل دائرة الاختيار ، وهى دائرة مهما تتسع ضيقة ، ثم كتب التراجم التى تذكر بعض أخبار من تترجم لهم وبعض نماذجهم الفنية ، وحتى هذه — أو على الأقل أكثرها — لم تكن تعنى إلا بالمشهورين . ولنستمع إلى ابن قتيبة فى مقدمة « الشعر والشعراء » يحدثنا عن الأساس الذى أقام عليه كتابه ، لنرى صورة من ذلك الاهتمام الذى يقف عند المشهورين فحسب ، ولا يكاد يفكر فيمن عداهم : « قال أبو محمد : وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما من خفى اسمه ، وقل ذكرُه ، وكسد شعره ، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص ، فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة »[1] . ومعنى هذا أن رواة الشعر العربى — أو على الأقل أكثرهم — كانوا ينظرون إلى الشعر القديم على أنه وسيلة لأغراض لغوية لا على أنه نتاج عصر متعدد الجوانب .

والأمر فى شعر الصعاليك أسوأ من هذا ، فقد عرفنا أن هؤلاء الصعاليك كانوا يمثلون طائفة خارجة على المجتمع ، متمردة على أوضاعه وتقاليده ، لا تحرص على قبائلها كما لا تحرص قبائلها عليها ، ونتيجة هذا أن القبائل لم تحرص على شعرهم ، لأنه يمثل ذلك الخروج عليها ، وذلك التمرد على أوضاعها وتقاليدها ، ولأنه حديث فردى يعنى بتصوير شخصيات أصحابه بقدر ما يهمل شخصيات قبائلهم ، وما حاجة القبائل إلى ذلك اللون من الشعر الذى لا يهتم بها فى شىء ، بل على العكس يهتم بتسجيل تمرده عليها والإساءة إليها ؟ وماذا يحمل هذه القبائل على الحرص على هذا الشعر بعد أن لم تحرص على أصحابه ؟ وقد رأينا إلى جانب

(١) ص ٢ ، ٣ .

هذا أن هؤلاء الصعاليك عاشوا حياة متشردة بين أرجاء الصحراء الواسعة الرهيبة ، حيث يعيش الحيوان النافر ، والوحش الضارى ، ونتيجة هذا أن سبل الاتصال بين هؤلاء الصعاليك وبين مجتمعهم لم تكن ميسرة ، بل على العكس كانت معقدة أشد التعقيد ، إذ هى صلة عداوة مستحكمة ، لا تجعل أحدهما يطمئن إلى الآخر ، وقد قلنا من قبل إن المجتمع فقد اطمئنانه إلى هؤلاء الصعاليك كما فقدوا هم طمأنينتهم فيه . ومعنى هذا أن كثيراً من شعر الشعراء الصعاليك ضاع بين آفاق الصحراء المجهولة ، وذهبت أنغامه ما بين حيوانها ووحشها ، حيث لا ناطق ولا سميع ولا راوية إلا هؤلاء الصعاليك أنفسهم الذين بَعُدَ ما بينهم وبين مجتمعهم ، وقد هدد تأبط شرا عاذليه إن لم يتركوا عذله ليتركنهم إلى آفاق الصحراء المجهولة حيث لا أحد — مهما تكن معرفته — بمنبئهم عن موضعه[1] ، وإذن فكيف يصل ما يقوله من شعر فى تلك الآفاق المجهولة إلى آذان المجتمع الأدبى ؟

ومع ذلك فقد وصلت إلينا مجموعة لا بأس بها — وإنْ تكن قليلة — من شعر هؤلاء الصعاليك . وقد نتساءل : كيف وصلت إلينا هذه المجموعة برغم كل هذا ؟

مصادر هذه المجموعة ، عندى ، ثلاثة :

فليس من شك فى أن هؤلاء الشعراء الصعاليك قد مرت بهم فى حياتهم فترات عاشوا فيها مع قبائلهم حياةً قبلية متوافقة توافقاً اجتماعياً ، وهى تلك الفترات التى سبقت حياتهم المتصعلكة ، إذ ليس مما يمكن تصوره أن يبدأ هؤلاء الصعاليك حياتهم المتصعلكة منذ أن ترى أعينهم نور الحياة ، وإنما الذى يمكن تصوره أنهم عاشوا فترة من حياتهم — قصرت أو طالت — مع قبائلهم ، فليس التصعلك بالظاهرة الوراثية ، وإنما هو كما رأينا فى الفصول السابقة ظاهرة تعمل فيها عوامل جغرافية واجتماعية واقتصادية . ومن الطبيعى أن يكون بعض هؤلاء الشعراء الصعاليك قد اكتملت ملكاتهم الفنية قبل أن يتصعلكوا ،

---

(١) انظر البيتين ٢٣ و ٢٤ من قصيدته القافية (ابن الأنبارى : شرح المفضليات/١٨) .

وأن يكونوا قد شاركوا سائر شعراء قبائلهم فى حياتهم الفنية ، وقد رأينا مثلا لهذا قيس بن الحدادية الذى شارك قبيلته اجتماعيًّا وفنيًّا مشاركة قوية ، خاض معها غمار أيامها ، بل قادها أحياناً إلى مواطن النصر ، وتغنى بهذا كله فى شعره . ومن الطبيعى أيضاً أن تحرص القبيلة على هذا الشعر وترويه ، وتتغنى به ، وتتناقله جيلا بعد جيل ، حتى يتلقفه من أفواه أبنائها رواة الشعر العربى الذين كانوا يشدون الرحال إلى البادية ليجمعوا شعر قبائلها . ومعنى هذا أن جزءاً من شعر الصعاليك ، وهو ما يصح أن نطلق عليه « الشعر خارج دائرة الصعلكة » ، قد وصل إلينا عن طريق قبائلهم نفسها .

ومن هذه المجموعة أيضاً ذلك الشعر الذى خلا من مهاجمة القبيلة أو التعرض لها بما تكره ، كوصف الغارات ، أو وصف وحش الصحراء ، أو قصص تلك الأشباح التى كانت تتراءى للصعاليك فى تشردهم فى ليالى الصحراء المظلمة ، فما على القبيلة ضَيرٌ من رواية هذا الشعر ، أو هذه الأقاصيص العجيبة التى ترضى الذوق الشعبى ، فى أوقات فراغها أو فى ليالى أسمارها . ولعل مما يؤيد هذا قلة ما وصل إلينا من شعر هؤلاء الصعاليك الذى هاجموا فيه قبائلهم ، أو تعرضوا فيه لها بما تكره ، وليس من شك فى أنه كان شعراً كثيراً ، فإن هذه المجموعة من الشعر قد أغفلتها القبائل ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . ويشبه هذا ما نلاحظه من ضياع تلك المجموعة من الشعر التى قالها مشركو مكة فى أول ظهور الإسلام ، عند احتدام الصراع بين شعراء مكة المشركين وشعراء المدينة الذين اعتنقوا الإسلام ، ووقفوا يدعون له ، ويدافعون عنه .

ومن هذه المجموعة أيضاً شعر أولئك الصعاليك الذين فقدوا توافقهم الاجتماعى مع قبائلهم لأسباب اقتصادية فى أكثر الأحيان ، أو اجتماعية فى بعض الأحيان ، ولكنهم لم يفارقوها ، كما نرى عند طائفة من صعاليك هذَيل ، أو عند السليك الذى قلنا إن العصبية القبلية عنده قد اتسعت حتى أصبحت « عصبية جنسية » ، أو عند تأبط شرا الذى جعل من قبيلته فهم — أو بتعبير

أدق — من موطنها مركزاً يعود إليه بعد غاراته[١] ، فهذه الطوائف من الصعاليك لم تجد قبائلهم ضيراً من أن ترْوىَ ما وصل إليها من شعرهم ، وبخاصة لأنه يصلح مادة للسمر الممتع الشهى .

ومعنى هذا أن المصدر الأول من مصادر شعر الصعاليك هو قبائلهم نفسها .

وقد رأينا أن الصعاليك الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم ، وطردتهم من حماها ، قد استجاروا ببعض القبائل أو ببعض ساداتها ، إما استجارة دائمة وإما استجارة مؤقتة . ومن الطبيعى أن يتحدث شعراء هذه الطائفة من الصعاليك الشذاذ عن هذا الجوار فى شعرهم ، فيمدحوا من أجاروهم ، ويثنوا عليهم بما يرونه رَدًّا لذلك الدَّيْن الذى طُوقت به أعناقهم. ومن الطبيعى أيضاً أن يتعرضوا لقبائلهم التى خلعتهم ، فيكيلوا لها الهجاء ، ويخصوا بالذات أولئك الذين كانوا سبباً فى خلعهم . ومن الطبيعى أن تحرص هذه القبائل التى أجارتهم ، وهؤلاء السادة الذين أنزلوهم فى حماهم ، على هذا الشعر حرصاً شديداً ، وأن يعملوا على إذاعته بين العرب ، لأنه تسجيل لبعض مفاخرهم ، وإشادة ببعض أمجادهم ، وليس ما يمنع من أن تذيع هذه القبائل ما قاله هؤلاء الصعاليك فى قبائلهم التى خلعتهم ، لأنه فرصة للنيل منها .

وإذن فالمصدر الثانى من مصادر شعر الصعاليك هى تلك القبائل التى استجار بها الخلعاء منهم .

والمصدر الثالث من مصادر شعر الصعاليك هم الصعاليك أنفسهم . وأظن أنه ليست هناك غرابة فى أن يروى الصعاليك شعر شعرائهم ، ويتغنوا به ، ويرددوه فى كل مناسبة ، لأنه صورة من حياتهم ، وصدى لما يدور فى نفوسهم . ومن الطبيعى أن يعمل هؤلاء الصعاليك على أن يذيعوا هذا الشعر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، لأنه تعبير عن مذهبهم فى الحياة ، وتعليل لذلك الأسلوب الذى سلكوه فى حياتهم ، لعلهم بهذا يضمون إليهم أنصاراً جُدُداً ،

---

(١) فأبت إلى فهم وما كدت آئباً وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
(حماسة أبى تمام ١/٣٨) .

أو يقنعون مجتمعهم بأنهم على حق فى حركتهم . وساعدهم على هذا ما كان يجده هذا الشعر من إعجاب فى الأوساط الشعبية التى كانت تُفْتَتَن بهذا اللون من الشعر ، بما فيه من غرابة ، وما فيه من بطولة ، ولأنه تعبير عن أشياء لعلهم أكثر من يحسونها ويشعرون بها . ولعل شعر عروة بن الورد وصل إلينا أكثره عن طريق هذا المصدر ، لأن عروة كان يمثل شخصية الزعيم الشعبى صاحب المذهب الذى يحرص على أن يضم إليه أكبر عدد ممكن من الأنصار ، ولعل هذا هو السبب فى أن شعر عروة هو أكبر مجموعة من شعر الصعاليك وصلت إلينا .

أما تلك المجموعة من الشعر التى نظمها الصعاليك المخضرمون بعد ظهور الإسلام ، والتى يصح أن نطلق عليها « شعر ما بعد الصعلكة » ، فإن شأنها شأن سائر الشعر فى ذلك العصر ، رواها الرواة كما رووه ، وحفظوها كما حفظوه ، إذ أن الصعاليك المخضرمين قد ودعوا حياة التصعلك بعد ظهور الإسلام وشاركوا فى الحياة الجديدة كما شارك غيرهم .

عن طريق هذه المصادر وصل إلينا شعر الصعاليك . ويبدو أن بعض رواة الشعر العربى قد تنبهوا إلى أن هذا الشعر يكوّن مجموعة متشابهة المقومات الفنية ، فعملوا على جمعه فى دواوين خاصة به[١] . ولكن مع الأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الدواوين إلا أسماؤها وأسماء مؤلفيها ، أما هى فقد ضاعت مع ما ضاع من التراث العربى القديم ، وليس بين أيدينا الآن من هذه الدواوين — فيما أعرف — سوى قطعة من « كتاب أشعار اللصوص » لأبى سعيد السكرى الذى أشار إليه البغدادى فى مقدمة الخزانة بين الكتب التى اعتمد عليها فى تأليفها[٢] ، والذى ذكره ابن النديم من بين مؤلفات السكرى[٣] ، ويذكر بركلمان أن هذه القطعة هى ديوان طَهْمَان من العصر الأموى ، وأن

---

(١) انظر ما ورد فى فهارس معجم الأدباء لياقوت عن كتب أشعار اللصوص والشطار والفتيان والفتاك (جزء ٢٠) .

(٢) خزانة الأدب ١ / ١٠ .

(٣) الفهرست / ٧٨ .

الأستاذ رايت نشرها[١] ، وفى خزانة الأدب للبغدادى قطعة أخرى منه[٢] ، هى مجموعة من أخبار عبيد الله بن الحُرِّ وأشعاره ، وهو أيضاً من صعاليك العصر الأموى ، وينقل عنه ياقوت فى معجم البلدان فى كثير من المواضع[٣] ، وكذلك ينقل عنه صاحب الأغانى[٤] ، ويذكر بركلمان أن فى شرح الحماسة للتبريزى مقتطفات منه[٥] . ويبدو أن هذا الكتاب من الكتب التى كانت لها قيمتها ، والقطع التى وصلت إلينا منه تدل على هذا دلالة قوية ، وصاحب الخزانة يثنى عليه[٦] ، وحسب هذا الكتاب أنه من عمل السكرى الذى يقول عنه ابن النديم « الذى عمل من علماء أشعار الشعراء فجوَّد فأحسن أبو سعيد السكرى »[٧] . وللسكرى أيضاً كتابان آخران يذكرهما ابن النديم ، هما أشعار فهم وأشعار الأزد[٨] . وليس من شك فى أن هذين الكتابين كانا يضمان شعر تأبط شرا وغيره من صعاليك فهم ، والشنفرى وحاجز وغيرهما من صعاليك الأزد . ومما يؤسف له حقًّا أن تضيع هذه المجموعة من كتب السكرى التى لو قد وصلت إلينا لأفادتنا كثيراً كما أفادنا ديوان الهذليين له .

وتشير مصادر الأدب العربى إلى دواوين لبعض الشعراء الصعاليك ، فيشير الآمدى فى ترجمته لأبى الطَّمَحَان القينى إلى « ديوانه المفرد »[٩] ، وينقل ذلك عنه البغدادى فى خزانته[١٠] ، ويذكره أيضاً ابن النديم ، ويذكر

---

(١) Brockelmann; Geschichte der Arabischer Literatur, I, p. 21.

(٢) ١/٢٩٧ — ٢٩٩ .

(٣) انظر على سبيل المثال مادة (شعفان) ٥/٢٧٤ ، ومادة (شعفين) ص ٢٧٥ فى أخبار عن عروة بن الورد .

(٤) انظر ٢٠/١٥٩

(٥) Brockelmann; Geschichte der Arabischer Literatur, I, p. 108.

(٦) ١/٢٩٩.

(٧) الفهرست /١٥٧ .

(٨) المصدر السابق /١٥٩ .

(٩) المؤتلف والمختلف /١٤٩ .

(١٠) ٣/٤٢٦ .

أن الذى عمله الأصمعى وأبو عمرو[١] ، ومما يؤسف له أن يفقد هذا الديوان أيضاً . ويشير صاحب الخزانة أيضاً إلى ديوان تأبط شرا فى نص ينقله عن ابنى جنى فى تصحيحه رواية بيت له يقول فيه « وكذلك وجدتها فى شعر هذا الرجل بالخط القديم ، وهو عتيد عندى إلى الآن »[٢] ، ويذكر بركلمان فى حديثه عن تأبط شرا أن « بعض مختارات من ديوانه جمعها ابن جنى مخطوطة فى الاسكوريال المجلد الثانى / ٧٧٨ »[٣] .

وقد وصل إلينا من دواوين الشعراء الصعاليك ديوانان : ديوان عروة بن الورد، وديوان الشنفرى .

ويذكر ابن النديم أن شعر عروة قد جمعه اثنان من الرواة : الأصمعى وابن السكيت[٤] ، ولكن لم يصل إلينا إلا الثانى . وقد طبع هذا الديوان عدة مرات ، طبعه نولدكه فى جوتنجن سنة ١٨٦٣ مع مقدمة وتعليقات وترجمة ألمانيا ، ثم طبع مرة أخرى فى المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ هـ فى مجموع مشتمل على أربعة دواوين أخرى هى دواوين النابغة الذبيانى ، وحاتم الطائى ، وعلقمة الفحل ، والفرزدق ، تحت اسم « مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب » ، وديوان عروة فيه مختلف فى ترتيبه عن طبعة نولدكه ، وفى أوله ترجمة عروة نقلا عن الأغانى دون إشارة إلى ذلك ، ثم طبع هذا المجموع مرة أخرى فى بيروت بالمطبعة الأهلية بدون ذكر لتاريخ الطبع ، ويبدو أن هذه الطبعة منقولة عن الطبعة المصرية ، وإن يكن صاحبها يذكر فى أولها أنها « طبعة جديدة مصححة منقحة ، مقابلة على عدة نسخ ، مرتبة على الحروف ، مضافاً عليها كثير من شعره مما تفرق فى دواوين الأدب » .

وأدرج لويس شيخو ديوان عروة مع شرح ابن السكيت فى شعراء

---

(١) الفهرست / ١٥٨ .

(٢) ٣ / ٥٤٠ .

(٣) Geschichte der Arabischer Literatur, I, p. 25.

(٤) الفهرست / ١٥٨ .

النصرانية[١] ، وأضاف إليه ما ورد فى شرح التبريزى على حماسة أبى تمام مع بعض أخبار منقولة عن الأغانى .

ثم طبعه مرة أخرى الشيخ ابن أبى شنب الأستاذ بكلية الأدب بالجزائر ، بمطبعة جول كربونل بالجزائر سنة ١٩٢٦ ، وأضاف إليه جملة من شعره مما لم يذكر فيه ، وشرحا على الأبيات يكمّل به شرح ابن السكيت .

ومن ديوان عروة نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٨٤ (أدب) ، وهى أيضاً من جمع ابن السكيت وشرحه ، وهى صورة من ديوانه المطبوع .

ولديوان عروة ترجمة فرنسية قام بها الأستاذ R. Basset ونشرها فى المجلة الأفريقية التى تصدرها كلية الأدب بالجزائر بالعدد ٦٢ سنة ١٩٢٨ .

أما ديوان الشنفرى فقد كان حظه من العناية دون حظ ديوان عروة ، فبين أيدينا منه نسختان : نسخة مطبوعة صنعها الأستاذ عبد العزيز الميمنى ، ونشرها فى مجموعة « الطرائف الأدبية » بلجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ يذكر فى مقدمتها أنها عن نسخة خطية من الديوان عثر عليها بكتبخانة خسرو باشا فى استنبول تحت رقم ١٤٩ ، وعن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٦٤ (أدب) يظن أنها نسخة أخرى من الديوان مبتورة ، وقد أضاف إلى ما ورد فى هاتين المخطوطتين بعض أبيات وجدها فى مصادر الأدب العربى الأخرى ، ولكنه أسقط من الديوان التائية المفضلية ، ولامية العرب ، ورثاء تأبط شرًا « لأن الأوليين وإن كانتا توجدان فى النسختين إلا أن ما عند غيرهما أوفى وأتم ، والثالثة خلتا عنها مرةً ، فما لى ولإثباتها ، وهى فى عامة الكتب ، على أنها لا يوثق بعزوها إليه » — كما يقول فى مقدمته[٢] .

والنسخة الأخرى التى بين أيدينا من هذا الديوان نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية بخط محاسن بن إسماعيل بن على من شعراء حلب ،

---

(١) من ص ٨٨٠ إلى ص ٩١٦ .

(٢) ص ٣٠ .

فرغ من كتابتها بدمشق فى منتصف شهر جمادى الآخرة سنة ٨٣٥ هـ . وهذه النسخة المصورة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت اسم « شعر الشنفرى » تحت رقم ٦٦٧٦ (أدب) ، وهى نسخة من الراجح أن الميمنى لم يطلع عليها لأنه لم يشر إليها فى ديوانه الذى طبعه .

وإلى جانب هذين الديوانين هناك مجموعة أشعار هذيل التى عملها السكرى أيضاً[١] ، وبين أيدينا منها الجزء الأول الذى نشره الأستاذ كوسجارتن John Godfrey Lewis Kosegarten تحت اسم « كتاب شرح أشعار الهذليين » فى لندن سنة ١٨٥٤ ، والجزء الذى نشره الأستاذ يوسف هل فى ليبزج ، سنة ١٩٣٣ تحت اسم « مجموعة أشعار الهذليين الجزء الثانى » ، والقسم الذى نشرته دار الكتب المصرية تحت اسم « ديوان الهذليين القسم الثانى » فى سنة ١٩٤٨ . فى هذه المجموعات من أشعار الهذليين طائفة من دواوين صعاليك هذيل : أبى خِراش[٢] ، والأعلم[٣] ، وصخر الغَىّ[٤] ، وعمرو ذى الكلب[٥] ، كما أن فيها طائفة متناثرة من شعر تأبط شرا[٦] ، الذى كانت بينه وبين هذيل عداوة مشبوبة الأوار .

فإذا ما تركنا هذه المجموعة من دواوين الشعراء الصعاليك وجدنا أنفسنا أمام مشكلة صعبة ، هى مشكلة شعر سائر الصعاليك : أين نجده ؟

لا مفر لنا — من أجل هذا — من الرجوع إلى كل مصادر الأدب العربى ، سواء منها المطبوعة أو المخطوطة ، لننقب — بعد اه تئذان علماء الآثار — عن أبياته ومقطوعاته وقصائده . والواقع أن شعر الصعاليك مفرق تفريقاً شديداً بين

---

(١) ابن النديم : الفهرست /٧٨ .

(٢) مجموعة أشعار الهذليين ٢/٤٧ — ٧٨ ، وديوان الهذليين القسم الثانى /١١٦ — ١٧٢ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/٥٤ — ٦٩ ، وديوان الهذليين القسم الثانى /٧٧ — ٨٧ .

(٤) شرح أشعار الهذليين ١/٦ — ٤٩ ، وديوان الهذليين القسم الثانى /٥١ — ٧٦ ، ٢٢٣ — ٢٤٠ .

(٥) شرح أشعار الهذليين ١/٢٣٢ — ٢٤١ ، ولم تصل طبعة دار الكتب إلى ديوانه .

(٦) انظر شرح أشعار الهذليين ١/٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢ ، وهناك طائفة من أخباره وحديث شعراء هذيل عنه متناثرة فى ٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

هذه المصادر ، حتى ليصح أن نقول — فى شىء من الحذر — إن كل هذه المصادر تضم أبياتاً من شعر الصعاليك . وأظن أن ليس فى هذا غرابة ، فما دام شعر الصعاليك يمثل البادية العربية فى كثير من جوانبها اللغوية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية تمثيلا صادقاً صحيحاً ، فمن الطبيعى أن يتخذه اللغويون والرواة والجغرافيون والمؤرخون مصدراً من مصادرهم الأساسية ، لأنهم يجدون فيه شواهد لكثير مما يقررون .

ومن هنا كانت المجموعة اللغوية من أهم مصادر شعر الصعاليك ، وأخص بالذكر منها لسان العرب وتاج العروس وجمهرة اللغة لابن دُرَيْد، وأهمية هذه المصادر — إلى جانب ما تقدمه لدارس شعر الصعاليك من شرح لألفاظه ومعانيه ، وإلى جانب ما تتيحه له من فرصة الموازنة بين الروايات المختلفة — ترجع أيضاً إلى ما انفردت به من أبيات لم ترْو فى مصادر هذا الشعر الأخرى[١] ، بل إن الأمر ليصل أحياناً إلى انفرادها بمجموعة كبيرة من الأبيات لشاعر واحد من بحر واحد وقافية واحدة مما يرجح أنها من قصيدة واحدة[٢] ، أو انفرادها بأبيات تصلح أن تكون تكملة لما روته المصادر الأخرى[٣] .

فإذا تركنا هذه المجموعة اللغوية وجدنا أن المجموعة الجغرافية ، وأخص بالذكر منها معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، من المصادر

---

(١) انظر على سبيل المثال فى لسان العرب المواد : قطر . وجر . بأس . سكن . ذوم (تابط شرا) — جوش . شهق . قها (أبو الطمحان) — رمل . صرى (السليك) — ولغ (حاجز) — وانظر أيضا ابن دريد : جمهرة اللغة ١ / ١٤٠ (حاجز) .

(٢) انظر الأبيات اللامية من بحر الطويل لتأبط شرا فى المواد : جلب . خعب . ركب . شحم . كلب . صوف . ثمل . ختل . رسل . رعل . سلل . كدل . هيل . هدمل . جثم . رعى . غزا . وهى أبيات نرجح — لاتحاد وزنها وقافيتها وموضوعها — أنها من قصيدة واحدة لم تصل إلينا، كما نرجح أن الأبيات التى تروى فى معلقة امرئ القيس ، والتى يشك الرواة فى صحة نسبتها إليه ، يرجحون أنها لتأبط شرا ، وهى التى يتحدث فيها عن حمله قربة الماء وقطعه الوادى المقفر حيث تعوى الذئاب ، من هذه القصيدة أيضا .

(٣) انظر على سبيل المثال لسان العرب : مادة (جذمر) حيث يروى بيت لتأبط شرا لعله من قصيدته الرائية التى يرويها له الأصمعى فى الأصمعيات / ٣٥ .

الأساسية أيضاً لشعر الصعاليك . ويرجع ذلك إلى أن هذا الشعر — لكثرة ما يرد فيه من أسماء الأماكن فى الجزيرة العربية — يُعَدُّ مادة صالحة يستشهد بها هؤلاء الجغرافيون فى دراساتهم . وقيمة هذه المجموعة من المصادر — إلى جانب ما تقدمه لنا من هذا الشعر — ترجع إلى أنها تعيننا على ضبط نصوصه ، وتصحيح روايته ، بما تقدمه لنا من ضبط لألفاظ الأماكن التى ترد فيه ، والتى قد تكون واردة فى المصادر الأخرى محرفة أو مصحفة[١] .

فإذا ما تركنا هاتين المجموعتين اللتين تعنيان بشعر الصعاليك من حيث هو وسيلة لأغراضهما اللغوية والجغرافية، نصل إلى مجموعة تُعْنَى بهذا الشعر من حيث هو غاية فنية تقصد لذاتها ، وهى مجموعة المختارات من شعر الشعراء ، وعلى رأس هذه المجموعة تضع المفضليات للضبى ، لا لكثرة ما فيها من شعر الصعاليك ، فليس فيها منه سوى قصيدتين : إحداهما قافية تأبط شرا[٢] ، والأخرى تائية الشنفرى[٣] ، ولكن لأنها روت هاتين القصيدتين كاملتين ، مما أتاح لنا فرصة الوقوف أمام نصين كاملين من ديوان الصعاليك . هذا إلى جانب أن ابن الأنبارى فى شرحه عليهما قدم لنا مجموعة أخرى من شعر الصعاليك ، لم تروَ فى المصادر الأخرى[٤] .

ومن الطبيعى أن نذكر مع المفضليات الأصمعيات ، لأنها بمثابة التكملة لها ، أو الجزء الثانى منها ، وقد قدمتْ لنا أيضاً قطعتين من ديوان الصعاليك ،

---

(١) انظر على سبيل المثال ما ورد فى لسان العرب ، مادة (مرج) ، للسليك :

وأذعر كلابا يقــود كلابــه ومرجة لا أقتبسها بمقنب

فإننا حين نمضى إلى المجموعة الجغرافية لا نجد (مرجة) بالجيم ، وإنما هى (مرخة) بالخاء وهى « بلد باليمن ومن نواحيه واد كثير النخل » (ياقوت : معجم البلدان ٨/١٩) ، فإذا أضفنا إلى هذا ما قررناه فى التفسير الجغرافى لظاهرة الصعلكة من أن السليك قد تخصص فى الإغارة على اليمن ، وأن حركات الصعاليك كانت تتجه إلى المناطق الخصبة ، تأكد لنا أن صحة هذا الاسم بالخاء ، وأن موضعه فى لسان العرب يجب أن يكون فى (مرخ) لا فى (مرج) .

(٢) من ص ١ — ٢٠ .

(٣) من ص ١٩٤ — ٢٠٧ .

(٤) انظر بيتى الشنفرى الداليين فى ص ١٩٧ ، وأبياته الثلاثة الدالية أيضا فى ص ١٩٨ ، وقد نقلها الميمنى عنه فى ديوانه الذى نشره فى الطرائف الأدبية (ص ٣٤ ، ٣٥) .

إحداهما رائية عروة المشهورة[١] ، والأخرى رائية لتأبط شرا[٢] ، وهذه الأخيرة قد انفردت بها الأصمعيات دون المصادر الأخرى ، وقد قلنا منذ قليل إن فى لسان العرب بيتاً نرجح أن يكون منها .

وهناك « جمهرة أشعار العرب » لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، وفيها قطعة كبيرة من رائية عروة المشهورة[٣] يضعها فى مجموعة « المنتقيات » .

ثم هناك « منتهى الطلب من أشعار العرب » لمحمد بن المبارك ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥٣ ش أدب) ، الموجود منها جزءان ، فى الأول منهما طائفة من قصائد عروة بن الورد ، وفى الثانى بعض مقطوعات للشنفرى وتأبط شرا .

وهناك مخطوطة أخرى مجهولة المؤلف فى الخزانة التيمورية (تحت رقم ١٢٧٥ تيمورية شعر) فيها قصائد للشنفرى ولعمرو بن براقة الهمدانى .

ثم هناك مجموعات الحماسة ، وعلى رأسها حماسة أبى تمام التى تمدنا بمجموعة كبيرة من شعر الصعاليك متنوعة الأغراض ، كما يمدنا التبريزى فى شرحه عليها بمجموعة أخرى كبيرة ، تجعل من هذا المصدر مصدراً أساسيًّا لشعر الصعاليك .

وتقف إلى جانب حماسة أبى تمام فى مستوى واحد حماسة الخالديين ، وهى مخطوطة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢٦٢ تيمورية شعر) ، فإنها تمدنا بمجموعة كبيرة من شعر الصعاليك ، بل إنها تنفرد أحياناً برواية قطع منه[٤] .

ثم هناك حماسة البحترى ، وهى أيضاً تمدنا بمجموعة لا بأس بها من شعر الصعاليك موزعة على أغراضها .

---

(١) ص ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) ص ٣٥ .
(٣) ص ١١٤ ، ١١٥ .
(٤) انظر على سبيل المثال : أبيات عمرو بن براقة (ورقة رقم ٤٤٣) ، وبيتى السليك (ورقة رقم ٣٧٠ ورقم ٣٧١) وبيتى تأبط شرا (ورقة رقم ٢٩١) .

ثم هناك الحماسة الصغرى لأبى تمام ، وهى المعروفة بالوحشيات ، ومنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢٢٩٧ أدب) وفيها أيضاً مجموعة لا بأس بها من شعر الصعاليك .

وهناك أيضاً الحماسة البصرية لعلى بن أبى الفرج البصرى ، ومنها نسختان فى دار الكتب المصرية ، إحداهما مخطوطة (تحت رقم ٥٢٠ أدب) ، والأخرى مصورة (تحت رقم ٦٣٠٠ أدب) ، وفيها أيضاً مجموعة لا بأس بها من شعر الصعاليك .

وهناك حماسة ابن الشجرى ، وهى مطبوعة ، وفيها قصيدة لتأبط شرا ، هى لامية له[١] ، وقطعة لعمرو بن براقة من قصيدته الميمية المشهورة[٢] .

فإذا ما تركنا هذه المجموعة من المختارات التى تعنى بشعر الصعاليك من حيث هو غاية فنية تقصد لذاتها ، فإننا نقف عند مجموعة أخرى من مصادر هذا الشعر تعنى به من حيث هو جانب من جوانب حياتهم ، وتعنى بها كتب التراجم ، وما أحسبنى فى حاجة إلى القول بأن كتاب الأغانى لأبى الفرج على رأس هذه المجموعة بدون استثناء ، ففيه أكبر مجموعة من شعر الصعاليك يرويها صاحبه فى أثناء تراجمه لأصحابها[٣] .

وكذلك الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ولكننا نلاحظ أنه أغفل ترجمة الشنفرى ، وإن يكن قد روى له بضعة أبيات فى مقدمته[٤] ، وربما كانت ترجمة الشنفرى قد سقطت من مخطوطات الكتاب .

---

(١) ص ٤٧ .

(٢) ص ٥٥ .

(٣) عروة بن الورد (٣/٧٣ – ٨٨ دار الكتب) ، وفضالة بن شريك (١٠/١٧١ – ١٧٣ بولاق) وأبو الطمحان (١١/١٣٠ – ١٣٤ بولاق) ، وحاجز (١٢/٤٩ – ٥٣ بولاق) . وقيس بن الحدادية (١٣/٢ – ٨ بولاق) ، والسليك(١٨/١٣٣ – ١٣٨ بولاق) . وتأبط شرا (١٨/٢٠٩ – ٢١٨ بولاق) ؛ وصخر الغى (٢٠/٢٠ – ٢٢ بولاق) وعمرو ذو الكلب (٢٠/٢٢ ، ٢٣ بولاق) ، وأبو خراش (٢١/٥٤ – ٧٠ ليدن) ، والشنفرى (٢١/١٣٤ – ١٤٣ ليدن) ، وعمرو بن براق (٢١/١٧٥ ، ١٧٦ ليدن) .

(٤) ص ١٩ .

ثم المؤتلف والمختلف للآمدى ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، وتراجمُ الشعراء فيهما — وإن تكن موجزة جداً — تمدنا بمجموعة لا بأس بها من شعرهم.

ثم كتاب « المغتالين » لابن حبيب ، ومنه نسختان فى دار الكتب المصرية : نسخة خطية (تحت رقم ٥٧ ش أدب) ونسخة مصورة (تحت رقم ٢٦٠٦ تاريخ) . وطرافة هذا الكتاب تأتى من أنه يهتم بتلك اللحظات الأخيرة فى حياة من يترجم لهم ، فإذا لاحظنا أن أكثر الشعراء الصعاليك قد قتلوا ، أدركنا أهمية هذا الكتاب للباحث فى شعر الصعاليك ، وإن كنا نلاحظ أن تراجم الشعراء فيه موجزة .

ثم كتاب « مَنْ نُسِبَ إلى أمه من الشعراء » لابن حبيب أيضاً ، وقد كنا ننتظر أن نجد فى هذا الكتاب شيئاً كثيراً عن الشعراء الصعاليك ما دام كثير منهم كانوا أغربة يُنْسبون إلى أمهاتهم ، ولكن ابن حبيب ، أو لعل النسخة التى وصلت إلينا من كتابه ، قد خيبت ظننا ، فليس فيها من الشعراء الصعاليك سوى قيس بن الحدادية ، وليس فيها من شعره سوى قطعة من أرجوزته التى أنشدها قبيل مقتله[١] .

ثم كتاب «المعمَّرين » للسجستانى ، وفيه البيتان اللذان أنشدهما أبو الطمحان فى شيخوخته[٢] .

فإذا ما تركنا مجموعة كتب التراجم التى تُعْنى بشعر الصعاليك من حيث هو جانب من جوانب حياتهم ، وصلنا إلى مجموعة أخرى تعنى به من حيث هو مادة للدراسة الأدبية أو اللغوية ، ونعْنى بها كتب الأمالى والمحاضرات والأحاديث ، ونخص بالذكر منها الكامل للمبرد ، والأمالى للقالى ، والنوادر له أيضاً ، والتنبيه لأبى عبيد البكرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والمحبَّر لابن حبيب ، ومحاضرات الأدباء للراغب ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ، ونقد الشعر لقدامة ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ،

---

(١) ص ٦ .
(٢) ص ٦٣ .

والوساطة بين المتنبي وخصومه ، وغيرها من كتب تلك المجموعة الضخمة من التراث العربي .

ثم هناك مجموعة كتب الشواهد ، ونخص بالذكر منها خزانة الأدب للبغدادي ، وشرح الشواهد الكبرى للعيني ، ففيهما مقدار كبير جداً من شعر الصعاليك . ومرد ذلك إلى اهتمام النحاة بهذا الشعر في شواهدهم . وميزة الخزانة — فوق هذا — أنها ترد كل ما ترويه إلى مصادره التي تنقله عنها ، وما أكثر المصادر التي اعتمد عليها صاحب الخزانة في تأليفها ، والتي أشار إليها في مقدمته لها[1] ، حتى لتعد الخزانة من المصادر الأولى لشعر الصعاليك .

وقد قلنا إن الشعراء الصعاليك — نتيجة لتشردهم — ذكروا طائفة كبيرة من حيوان الصحراء في شعرهم ، ومعنى هذا أن الكتب العربية التي تعنى بدراسة الحيوان تضم مجموعة لا بأس بها من شعر الصعاليك ، ونخص بالذكر من بين هذه الكتب كتاب الحيوان للجاحظ .

ومن بين الشعراء الصعاليك جماعة أدركوا الإسلام ، وأسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كأبي خراش وأبي الطمحان ، فهؤلاء نجد تراجمهم وطائفة من شعرهم في كتب الصحابة ، كالإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير . ومن هذا القبيل أيضاً ما ترويه كتب السيرة من شعر عروة بن الورد وأخباره ، نظراً لأن إحدى سبياته كانت في بني النضير عندما أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر[2] .

هذه أهم المجموعات التي تكوّن مصادر « ديوان الصعاليك » ، وهذه أهم كتبها ، ولم نقصد من ذكرها إلى الحصر ، فإنه ليس باليسير ، وقد قلنا في أول حديثنا عنها إننا نستطيع أن نقول ، في شيء من الحذر ، إن كل مصادر الأدب العربي تضم أبياتاً من شعر الصعاليك ، وإنما كل ما قصدنا إليه من

---

(١) انظر ١/٨ — ١٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال : السهيلي : الروض الأنف ٢/١٧٨ — ١٨١ .

هذا الحديث هو أن نهيئ « المفاتيح » التى نتوصل بها إلى « كنوز » ديوان الصعاليك .

٢

مادته :

حين ننظر فى « المادة » التى تجمعت لنا من كنوز ديوان الصعاليك نلاحظ عليها ثلاثة أشياء : قلتها ، وكثرة الاضطراب فى رواية نصوصها ، ثم الشك الذى يحيط ببعض نصوصها .

والأمر الذى لاشك فيه هو أن مادة شعر الصعاليك قليلة قلةً لا تتكافأ مع كثرة مصادرها ، ومرد ذلك من غير شك إلى ضياع جزء كبير منها ، لأنها — من ناحية — شعر جاهلى ، ونحن نعرف أن الشعر الجاهلى قد ضاع أكثره ، ولم يصل إلينا منه إلا أقله ، وهى حقيقة معروفة مقررة عند القدماء[1] ، ثم هى — من ناحية أخرى — نتاج طائفة من الشعراء متمردة على قبائلها ، متشردة فى مجاهل الصحراء . وليس الأمر استنتاجاً نظرياً ، وإنما هى حقيقة يذكرها القدماء ، فهم يذكرون عن قيس بن الحدادية أنه « شاعر قديم كثير الشعر »[2] ، وليست مجموعة شعر قيس التى بين أيدينا بالتى يصح أن نطلق على صاحبها أنه « كثير الشعر » . وليس من شك فى أن كثيراً من الشعراء الصعاليك كانوا مثل قيس من حيث كثرة الشعر ، وأن كل الشعراء

---

(١) يقول أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (ابن سلام : طبقات الشعراء /١٠) ، ويعلل عمر بن الخطاب لهذا بهلاك رواته من العرب فى الفتوح الإسلامية (المصدر السابق /١٠) ، ويقول ابن قتيبة « ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ولا قصيدة إلا رواها » (الشعر والشعراء /٣) ، ويحدثنا الأصمعى أنه « كان ثلاثة أخوة من بنى سعد لم يأتوا الأمصار فذهب رجزهم » (المصدر السابق /٤) .

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء /٣٢٦ .

الصعاليك كانوا مثله ومثل سائر الشعراء الجاهليين من حيث ضياع أكثر شعرهم .

وإلى جانب هذه القلة فى المادة تلاحظ أيضاً كثرة الاضطراب فى رواية نصوصها ، وهى ظاهرة نلاحظ على كل نصوص الشعر الجاهلى ، ولكنها تلاحظ بصورة قوية فى نصوص شعر الصعاليك . ومن اليسير أن نفهم هذا ما دمنا قد عرفنا أن الشعراء الصعاليك كانوا يمثلون طائفة متمردة على قبائلها ، متشردة فى مجاهل الصحراء ، وما دام هذا الشعر قد وصل إلينا مفرقاً فى مصادر الأدب العربى المختلفة ، ولم يصل إلينا إلا قليل منه فى دواوين مستقلة .

وكما يُلاحظ هذا الاضطراب فى ألفاظ هذا الشعر ، يلاحظ فى ترتيب أبياته ، ويلاحظ أيضاً فى عدد هذه الأبيات ، وهذا ما سنحاول الإشارة إليه فيما يمر بنا منه فى هذا البحث .

فإذا ما تركنا هاتين الملاحظتين الشكليتين ، فإننا نصل إلى الملاحظة الثالثة ، وهى الشك الذى يحيط ببعض نصوص هذا الشعر ، وهى ملاحظة جوهرية ، لأنها تتصل بالمادة التى بين أيدينا : أهى حقًّا لأصحابها أم هى مزيفة عليهم ؟ وشعر الصعاليك فى هذه المسألة ليس بدعاً من سائر الشعر الجاهلى الذى اتهم بالتزييف والانتحال اتهاماً شديداً ، والذى تعرض لحملة شديدة كانت على وشك أن تعصفَ بأركانه . ولسنا نبرئ الشعر الجاهلى من هذا الاتهام ، ولكنا أيضاً لا نمضى مع هذا الاتهام إلى ذلك الحد الذى يجعل من رواة الشعر الجاهلى « عصبة من المزيِّفين » لا همَّ لهم إلا صناعة نماذج من الشعر ثم حملها على الشعراء الجاهليين ، والذى يجعل درس الشعر الجاهلى ضرباً من الأعمال « البوليسية » التى لا هم لها إلا البحث عن هؤلاء المزيفين ومصادرة « عملتهم » الزائفة .

والأمر الذى لا أكاد أشك فيه هو أن الشعر الجاهلى قد لقى من عناية القدماء نصيباً موفوراً ، وأن نقاد هذا الشعر لم يشكوا فى شىء منه إلا سجلوا هذا الشك ، وحسبنا هذا الشك دليلا على عناية القدماء بأمر هذا الشعر . أما

ما كان التزييف فيه بارعاً إلى درجة خفيت على القدماء أنفسهم من النقاد والرواة ، فما أظن أننا نبيح لأنفسنا الادعاء بأننا أدق حسًّا بالشعر الجاهلى من هؤلاء القدماء الذين كانوا أقربَ منا عهداً بعصر هذا الشعر ، أما إذا كان الراوية أو الناقد مجرَّحاً عرفتْ عنه الغفلة أو الكذب ، أو كان المتن نفسه يحمل فى أثنائه دليلا على الكذب أو التزييف ، فهنا تكون مواضع الشك والاتهام . وليست هذه الخطة بدعاً فى الدرس ، وإنما هى خطة سار عليها علماء الحديث فى دراستهم لأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وتحقيقها .

ومجموعة شعر الصعاليك التى دارت حولها أحاديث الشك نوعان : فمجموعة كان الشك فيها « داخليًّا » بمعنى أن الرواة قد اتفقوا على أنها من شعر الصعاليك ، ولكنهم اختلفوا فى نسبتها إلى أيهم ، ومن الأمثلة على هذه المجموعة تلك البائية التى ترْوَى مرة لأبى خراش الهذلى[١] ، ومرة للأعلم الهذلى[٢] ، ومرة لتأبط شرا[٣] وهم جميعاً من صعاليك منطقة واحدة هى منطقة السراة .

ومن الأمثلة على هذه المجموعة أيضاً تلك الدالية التى يرويها الأصمعى وأبو عمرو الشيبانى والسكرى لصخر الغى الهذلى[٤] ، والتى يذكر أبو عبيدة « أنه رأى جماعة من شعراء هذيل يختلفون فى هذه القصيدة فيرويها بعضهم لصخر الغى ، ويرويها بعضهم لعمرو ذى الكلب ، وأن الهيثم بن عَدِىّ حدثه عن حماد الراوية أنها لعمرو ذى الكلب »[٥] ، وكلا الشاعرين من صعاليك هذيل .

والخَطْب فى هذه المجموعة هين ، فإن المسألة لم تخرج عن دائرة الصعاليك. وهذا الاختلاف — وإن يكن له تأثير فى الدراسة الفنية للشاعر الواحد —

---

(١) ديوان الهذليين ، القسم الثانى /١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) الآمدى : المؤتلف والمختلف /٩٥ .

(٣) ديوان الهذليين ، القسم الثانى /١٦٨ ، ١٦٩ ، وابن دريد : جمهرة اللغة ١/٢٤٠ .

(٤) الأغانى ٢٠/١٩ ، وشرح أشعار الهذليين ١/١٢ ، ويرويها له أيضاً ابن قتيبة فى الشعر والشعراء /٤٢٠ .

(٥) الأغانى ٢٠/١٩ .

لاتأثير له فى الدراسة الفنية لشعر الصعاليك من حيث هو شعر مجموعة ، ولا تأثير له فى الدراسة الاجتماعية لظاهرة الصعلكة .

ومن هنا وقفنا من هذه المجموعة موقفين مختلفين ، فاعتمدنا عليها فى دراسة ظاهرة الصعلكة ، وفى دراسة شعر الصعاليك من حيث هو شعر مجموعة ، أما حين ندرس شاعراً معيناً ، فمن الطبيعى ألا نعتمد عليها ، لا فى دراسة حياته ، ولا فى دراسة فنه ، وإلا وصلنا إلى نتائج مشكوك فى مقدماتها .

أما المجموعة الأخرى فإن الشك فيها شك « خارجى » بمعنى أنه يدور حول نسبتها إلى الشعراء الصعاليك أو إلى غيرهم من الشعراء ، كتلك الأبيات التى تنسب مرة إلى تأبط شرا[١] ، ومرة ثانية إلى البَعِيث[٢] ، ومرة ثالثة إلى هُدْبة العذرى[٣] ، وكتلك الأبيات البائية التى تنسب فى بعض المصادر إلى أبى الطمحان[٤] ، وفى بعضها إلى لَقِيط بن زُرَارة[٥] ، وكالبيتين اللذين ينسبان فى بعض المصادر إلى السليك[٦] ، وفى بعضها إلى المعتصم بالله ابن هارون الرشيد[٧] .

وقد يكون من اليسير أن ينتهى الباحث إلى رأى فى هذا الاختلاف إذا أعانته بعض الخصائص الفنية فى نصوص هذه الأبيات على التعرف على شخصيات أصحابها ، فمثلا قد يكون من اليسير أن نصحح نسبة البيتين الأخيرين إلى المعتصم ، إذ أن سمات « الأرستقراطية » تبدو عليهما فى صورة ذلك السيد الذى يأمر غلامه بأن يهيئ له حصانه ويطرح عليه سرجه ولجامه ، فإذا أضفنا إلى هذا أن البيت الثانى يروَى فى بعض المصادر « أبلغْ الأتراك »[٨]

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الأول / ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق / ٢٧٦ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ / ١١٦ .
(٤) المبرد : الكامل / ٣٠ ، وانظر أيضاً ص ٦٦ ، ٥٠٧ .
(٥) الجاحظ : الحيوان ٣ / ٩٣ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء / ٤٤٧ .
(٦) أسامة بن منقذ : لباب الآداب / ١٨٢ .
(٧) المرزبانى : معجم الشعراء / ٤٢٥ .
(٨) المصدر السابق / ٤٢٥ .

مكان « أبلغ الفتيان »، رجحت لدينا نسبة هذين البيتين للمعتصم، ومن الحق أن السليك كان له فرس اسمه « النحّام »[١] ، ولعل هذا هو الذى أشكل على بعض الرواة فنسبوا البيتين له ، ولكن هذا ليس كافياً لإثبات صحة هذه النسبة ، فقد يكون فى خيل المعتصم ما يحمل هذا الاسم .

والأمر فى الأبيات التى تنسب إلى أبى الطمحان أو لقيط بن زرارة يشبه هذا الأمر ، فإنّ فى الأبيات فخراً بقوم الشاعر بالسيادة والحسب ، وهذا أليق بلقيط ذلك السيد التميمى الذى يصفه ابن قتيبة بأنه « كان أشرف بنى زرارة »[٢] ، كما أن فخر الشاعر بلسان قومه ليس من الخصائص المألوفة فى شعر الصعاليك ، ومن هنا نستطيع أن نرجح نسبة هذه الأبيات إلى لقيط ، وقد تنبه ابن قتيبة إلى هذا حيث يقول « وبعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطمحان القينى ، وليس كذلك ، إنما هو للقيط »[٣] .

وقد تنبه القدماء إلى مثل هذا ، فقد اختلف الرواة فى أربعة أبيات من معلقة امرئ القيس : أهى له أم لتأبط شرا ؟ وهى تلك الأبيات التى يتحدث فيها الشاعر عن حمله قربة الماء ، وتشرده فى الوديان المقفرة مع الذئاب الجائعة ، وعن فقره وإسرافه وهزاله[٤] : أما الأصمعى فقد ذهب إلى أن هذه الأبيات ليست لامرئ القيس وإنما هى لتأبط شرا ، وتابعه فى هذا الرأى أبو حنيفة الدينورى وابن قتيبة ، وأما السكرى فقد خالفهم فى هذا ورواها لامرئ القيس فى معلقته[٥] ، وقد تنبه صاحب خزانة الأدب إلى أن هذا الشعر أشبه بكلام اللص والصعلوك لا بكلام الملوك[٦] .

وقد يقال إن امرأ القيس تصعلك حقبةً من حياته ، فلعله يعبر عن هذه

---

(١) انظر الكامل للمبرد / ٤٧١ ، ولسان العرب مادة (نحم) .
(٢) الشعر والشعراء /٤٤٦ .
(٣) المصدر السابق /٤٤٧ .
(٤) التبريزى : شرح القصائد العشر /٣٧ ، ٣٨ .
(٥) البغدادى : خزانة الأدب ١/٦٥ .
(٦) المصدر السابق /٦٥ .

الحقبة فى هذه الأبيات ، ولكن يلاحظ أن وضع هذه الأبيات فى المعلقة وضع قلق ، إذ أنها حديث شاب « أرستقراطى » عن اللهو والنساء والصيد فليس من المعقول أن يتحدث فى أثناء هذا عن حمله قربة الماء وفقره وتشرده ، وقد رجحنا منذ قليل أن هذه الأبيات قطعة من لامية لتأبط شرا لم تصل إلينا ، وقلنا إنه من الممكن أن تتألف من تلك الأبيات الكثيرة الواردة له فى لسان العرب من وزن واحد وعلى قافية واحدة .

وصورة أخرى من هذا « الشك الخارجى » نراها حين تتهم بعضُ نصوص شعر الصعاليك بأنها قد صُنعت وحملت عليهم ، فمثلا يقول أبو عمرو تعليقاً على القصيدة القافية المنسوبة إلى قيس بن الحدادية فى مدح أسد بن كُرْز : « وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين ، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة ، صنعها حماد الراوية لخالد القسرى فى أيام ولايته وأنشده إياها ، فوصله ، والتوليد بيِّن فيها جدًّا »[١] ، ويذكر أبو الفرج بعد أن روى القصيدة البائية المنسوبة إلى قيس بن الحدادية أيضاً التى يفتخر فيها بقومه ، ويعيِّر عامر ابن الظرب بفراره : « هذه القصيدة مصنوعة والشعر بيِّن التوليد »[٢] .

ولعل أشهرَ ما تعرض لهذا الشك من شعر الصعاليك لاميتان : إحداهما تنسب إلى الشنفرى ، وهى المعروفة بلامية العرب ، ومطلعها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميلُ

والأخرى اختلف القدماء فى نسبتها اختلافاً شديداً ، ومطلعها :

إن بالشعب الذى دونَ سلع لقتيلا دمه ما يطل

وكلتا اللاميتين اتهم بصنعهما خلف الأحمر[٣] .

والقدماء يصفون خلفاً بأنه « كان من أمرس الناس لبيتِ شعرٍ »[٤] ،

---

(١) الأغانى ١٣/٥ (بولاق) .

(٢) المصدر السابق /٤ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٠٧ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء /٤٩٧ ، والجاحظ : الحيوان ١/١٨٢ ، والقالى : الأمالى ١/١٥٦ .

(٤) ابن النديم : الفهرست /٥٠ .

ويقول ابن سلام : « أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيتِ شعر »[١] ، ويقول الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر الأصمعى »[٢] ، ويقول أبو اليزيد : « أتيت بغداد حين قام المهدى محمد ، فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرس ببيت شعر من خلف »[٣] . ولكنهم مع الأسف يصفونه بأنه « كان يقول الشعر فيجيد ، وربما نَحَلَه الشعراء المتقدمين ، فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم »[٤] ويقول أبو الطيب عبد الواحد اللغوى : « كان خلف يضع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يُعرف »[٥] ، ويذكر ابن قتيبة أنه « كان يقول الشعر وينحله المتقدمين »[٦] ، ويقول ابن عبد ربه : « وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيُحْسِن وينحله الشعراء »[٧] ، ويذكر ابن النديم عنه أنه « كان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب ويَنْحَله إياهم »[٨] ، بل إنه هو نفسه يصرح بهذا فى بعض الأخبار أنه قال : « كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب ، وأعطيه المنحول فيقبلُ ذلك منى ، ويدخله فى أشعارها »[٩] .

ومعنى هذا أننا أمام « مزيَّف » بارع يعرف أساليب العرب فى الشعر ويقلدها ثم يحملها عليهم ، فلا يكادون يميزونها ، وهنا موطن الخطر ، فلو لم يكن خلف على هذه البراعة ، لاستطاع القدماء ، ولاستطعنا نحن أيضاً ، أن نعرف ما هو صحيح النسبة إلى أصحابه مما يرويه من الشعر وما هو منحول عليهم .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١١/٦٧ .
(٢) المصدر السابق ١١/٦٧ .
(٣) ابن النديم : الفهرست / ٥٤ .
(٤) ابن الأنبارى : نزهة الألبا فى طبقات الأدبا / ٦٩، ٧٠.
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ١١/٦٨ .
(٦) الشعر والشعراء / ٤٩٧ .
(٧) العقد الفريد ٥/٣٠٧ .
(٨) الفهرست / ٥٠ .
(٩) الأغانى ٦/٩٢ .

ولعل الأمر فى اللامية الأخيرة « إن بالشِّعب » أيسر ، فإن الشك يكتنفها اكتنافاً شديداً لم تتعرض لمثله أية قصيدة أخرى من « ديوان الصعاليك » ، وتكاد مصادر الأدب العربى المختلفة لا تتفق على قائلها ، فهى مرة تُنسب إلى تأبط شرا[١] ، ومرة إلى ابن أخت تأبط شرا[٢] ، ومرة إلى الشنفرى[٣] ، هذا إلى جانب نسبتها إلى خلف الأحمر[٤] ، بل إن أبا تمام الذى ينسبها فى حماسته فى صراحة إلى تأبط شرا[٥] ، ينسبها فى بعض المصادر الأخرى فى صراحة أيضاً إلى الشنفرى[٦] ، بل الغريب أن تنسب أحياناً إلى الشنفرى فى رثاء تأبط شرا[٧] ، مع أن المعروف أن الشنفرى قُتل قبل تأبط شرا ، وأن تأبط شرا هو الذى رثاه[٨] ، والجاحظ لا يعرض لها إلا متشككاً ، فهو يقول مرة : « وقال تأبط شرا أو أبو محرز خلف بن حَيَّان الأحمر »[٩] ، ويقول مرة أخرى : « وقال تأبط شرا ، إن كان قالها »[١٠] . وينقل ابن دريد بيتاً منها فى أسلوب المتشكك حيث يقول : « وقد رُوىَ البيت المنسوب إلى الشنفرى أو إلى تأبط شرا . . . »[١١] ، ووضع العبارة على هذه الصورة المتشككة ، والتعبير بكلمة « المنسوب » ، يشعران بما كان يدور فى نفس ابن دريد من الشك فى صحة هذه النسبة إلى أىٍّ من الشاعرين. ويقول ابن عبد ربه : « ويقال

---

(١) حماسة أبى تمام ٢/١٦٠ . ولسان العرب : مادة (سلع) .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/٢٥٢ ، ٣/٢٩٨ ، ٥/٣٤٥ ، ٣٤٦ .
(٣) البغدادى : خزانة الأدب ٣/٥٣٢ . ولسان العرب : مادة (سلع) . وحماسة الخالديين (مخطوطة) ورقة ٢٤٩ .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء /٤٩٧ .
(٥) حماسة أبى تمام ٢/١٦٠ .
(٦) حماسة الخالدين (مخطوطة) ورقة ٢٥٠ .
(٧) البغدادى : خزانة الأدب ٣/٥٣٢ . ولسان العرب : مادة (سلع) . وحماسة الخالديين (مخطوطة) ورقة ٢٤٩ .
(٨) الأغانى ٢١/١٣٦ .
(٩) الحيوان ١/١٨٢ .
(١٠) المصدر السابق ٣/٦٨ .
(١١) جمهرة اللغة ١/٦٩ .

إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرا وهو :

إن بالشعب الـذى دون سلع لقتيـلا دمـه ما يطـل

لخلف الأحمر ، وإنه نحله إياه »[١] . ويقول التبريزى فى صراحة عن هذا الشعر : « وذكر أنه لخلف الأحمر ، وهو الصحيح »[٢] . وكذلك يفعل ابن قتيبة إذ يذكر فى صراحة لا تحتمل شكًّا أن قائل هذه القصيدة هو خلف ، وهو يذكر هذا فى ترجمته له[٣] .

ومعنى هذا أن القدماء لم يتفقوا على نسبتها إلى أحد من الشعراء الصعاليك ، وإنما كان اختلافهم فى هذا اختلافاً عريضاً ، وأنهم يقفون منها موقف المتشكك فى صحة نسبتها إلى أىّ من الشعراء الصعاليك، بل إن بعض من يُعتدُّ برأيهم يصرحون فى قوة بأنها لخلف .

ولكنا نعود فنقف أمام نص للخالديين فى حماستهما يذكران فيه — بعد أن ذكرا هذه القصيدة منسوبة إلى الشنفرى — « وقد زعم قومٌ من العلماء أن الشعر الذى كتبنا للشنفرى هو لخلف الأحمر ، وهذا غلط »[٤] ، ثم يرويان خبراً طويلا[٥] عن الصولى عن أبى العيناء عن العُتْبى فى إثبات هذا ، خلاصته أن العتبى كان جالساً يوماً بالمربد مع « جماعة من أهل الأدب » ومعهم خلف الأحمر يتذاكرون « أشعار العرب » ، ثم أخذ خلف ينشدهم قصيدة له على رَوىّ هذه اللامية وقافيتها « يذكر فيها ولد أمير المؤمنين عليهم الرحمة وما نالهم وجرى عليهم من الظلم » ، إذ هجم عليهم الأصمعى ، وكان منحرفاً عن أهل البيت ، فقطع خلف قصيدته ، ودخل فى هذه اللامية ، ولم يكن فى الجماعة « أحدٌ عرف هذا الشعر ولا رواه للشنفرى » ، فلما انصرف الأصمعى أقبلوا على خلف يُطْرُون سرعة بديهته ، ومقدرته على الارتجال، ولكنه قال لهم

---

(١) العقد الفريد ٥/٣٠٧ .
(٢) شرح حماسة أبى تمام ٢/١٦٠ .
(٣) الشعر والشعراء /٤٩٧ .
(٤) ورقة رقم ٢٥٠ (مخطوطة) .
(٥) من ورقة رقم ٢٥١ — إلى ورقة رقم ٢٥٤ .

« إن كان تقريظكم لى لأنى عملت الشعر فما عملته والله ، ولكنه للشنفرى تأبط شرا[١] ، ووالله لو سمع الأصمعى بيتاً من الشعر الذى كنت أنشدكموه ما أمسى أو يقومَ به خطيباً على منبر البصرة فيتلف نفسى ، فادّعاء شعر لو أردتُ قول مثله ما تعذر علىّ أهون عندى من أن يتصل بالسلطان فألحق باللطيف الخبير » .

والخبر على هذه الصورة يحمل فى ثناياه كذبه ، فماذا يحمل خلفاً على أن يدّعى أمام الأصمعى أن هذه القصيدة له ، ولا ينسبها صراحة إلى صاحبها ؟ ثم كيف نتصور أن الأصمعى لم يكن يعرف هذه القصيدة لو كانت حقاً للشنفرى أو غيره من الشعراء الجاهليين ، وهو الذى يقرنه الأخفش بخلف الأحمر فى العلم بالشعر ، ويقول إنه لم يدرك أحداً أعلمَ بالشعر منهما[٢] ؟ كيف نتصور أن خلفاً يسىء الظن بالأصمعى إلى هذا الحد الذى ينشده فيه قصيدة جاهلية ، ويدّعيها لنفسه ، دون أن يظن أن الأصمعى قد يكون يرويها هو أيضاً ؟ ثم كيف نتصور أن هذه « الجماعة من أهل الأدب » المجتمعة لتتذاكر « أشعار العرب » — على حد تعبيرات القصة — قد خلت من واحد يعرف أن هذه القصيدة جاهلية ؟ ثم أين سائر أفراد هذه « الجماعة من أهل الأدب » ولم لم يتذكرْ واحدٌ منهم غير العتبى هذا الخبر ؟

أما أنا فأرجح ترجيحاً شديداً أن العتبى راوى هذا الخبر هو مختلقه . ويؤيد هذا انفراده بروايته ، وقوله إنه لم يبق من يعرفه غيره ، وأنه تحدث به فى مجلس له ورجلٌ يقرأ عليه شعر الشنفرى ، فلما وصل إلى هذه اللامية قال بعض من كان فى المجلس : هذه القصيدة لخلف الأحمر ، فضحك العتبى مستخفاً به ، ومضى يقص هذا الخبر . وهذا يجعلنا نرجح أن المسألة كانت تحدياً بينه وبين بعض الحاضرين ، وفى مثل هذا الموقف قد يعمدُ بعض الناس إلى الاختلاق . ثم قد يكون العتبى اختلق هذه القصة ليبرئ خلفاً من

---

(١) كذا فى المخطوطة (ورقة رقم ٢٥٢) وأظن أن صوابه « للشنفرى يرثى تأبط شرا » .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٦٧/١١ .

تهمة الكذب ، وكلاهما شيعى .

هذا من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الفنية فقد حاول القدماء ممن نسبوها إلى خلف أن يدللوا على صحة هذه النسبة ، يروى التبريزى عن النمرى أنه قال « ومما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها — جَلَّ حتى دَقَّ فيه الأجلُّ — فإن الإعرابى لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا »[١] . ويُرْوَى عن أبى الندَى أنه قال « مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سَلْعاً وهو بالمدينة ، وأين تأبط شرا من سلع ؟ وإنما قُتِل فى بلاد هذيل[٢] » . ولكن صاحب معجم البلدان يذكر أن فى ديار هذيل جبلا اسمه سلع[٣] ، ولكنه — من ناحية أخرى — ينقل عن بعض العلماء أنهم استدلوا على أن هذه القصيدة ليست لتأبط شرا « بأن سلعاً ليس دونه شِعْبٌ »[٤] .

على هذه الأسس التاريخية والفنية نظن ، بل نرجح ، أن هذه اللامية ليست لأحد من الشعراء الصعاليك ولا فى رثاء أحد من الصعاليك .

أما القصيدة الأخرى ، لامية العرب ، فإن الأمر فيها أصعب من هذا ، فليس حولها هذا الخلاف العريض الذى رأيناه حول اللامية الأولى ، فإن الرواة الذين تعرضوا لها ينسبونها إلى الشنفرى[٥] ، ما عدا صاحب تاج العروس الذى ينسبها إلى تأبط شرا[٦] ، وليس بين أيدينا من النصوص الصريحة على أنها ليست للشنفرى سوى نص يرويه القالى عن ابن دريد يذكر فيه أن هذه القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى لخلف الأحمر[٧] . وهو نص له قيمته ، لأن ابن دريد

---

(١) شرح حماسة أبى تمام ٢/١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) المصدر السابق /١٦١ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان ٣/١٠٨ ، مادة (سلع) .
(٤) المصدر السابق ١/٥ (المقدمة) .
(٥) انظر على سبيل المثال التبريزى فى شرحه على حماسة أبى تمام ١/٢٣٤ ، والبغدادى فى خزانة الأدب ٢/٤١٤ ، ٣/٣٣٤ ، والعينى فى شرح الشواهد الكبرى (على هامش خزانة الأدب) ٢/١١٧ وإن كنا نلاحظ أن العينى يذكر أن الشنفرى هو عمرو بن براق ، وهو خلط ، وهبة الله العلوى فى ديوان مختارات شعراء العرب/٢١ ، وحماسة الخالديين (مخطوطة) ورقة رقم ١٣٠.
(٦) مادة (أم) . (٧) الأمالى ١/١٥٦ .

كان قريبَ عهد بخلف ، فأكثر أخباره مرْويةٌ عن تلاميذ الأصمعى عن خلف ، ثم إنه كان على صلة بأعمال المدرسة البصرية التى ينتمى إليها خلف[١] ، فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا الفرج قد أغفل هذه اللامية فى ترجمته للشنفرى إغفالا تامًّا ولم يشرْ إليها أى إشارة على كثرة ما رَوَى من شعره[٢] ، كما فعل مع اللامية الأولى فى ترجمته لتأبط شرا[٣] ، وأن لسان العرب — على كثرة ما نقل من شعر الصعاليك — لم يردْ فيه أى ذكر لها ولا أى بيت منها ، بدأت كفة الشك فى صحة نسبتها إلى الشنفرى ترجح .

هذا من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الفنية فإن أول ما يلفت نظرنا أن هذه اللامية طويلة طولا ليس مألوفاً فى شعر الصعاليك ، وسنرى فيما بعد أن شعر الصعاليك كان فى مجموعه شعر مقطوعات ، فهذه اللامية تبلغ ثمانية وستين بيتاً ، فى حين لا تزيد أطول قصيدة فى « ديوان الصعاليك » وهى تائية الشنفرى المفضلية على خمسة وثلاثين بيتاً فى بعض المصادر[٤] ، أى أن هذه اللامية تبلغ ضعف أطول قصيدة فى ديوان الصعاليك تقريباً . وإلى جانب هذا نلاحظ قلة الا ضطراب فى رواية ألفاظها ، وفى ترتيب أبياتها ، وهى ظاهرة ليست مألوفة فى شعر الصعاليك ، فقد لاحظنا فى أول هذا الفصل أن ممَّا يميز شعر الصعاليك الاضطراب فى رواية ألفاظه وترتيب أبياته . فإذا أضفنا إلى هذا ما لاحظه كرنكو[٥] من قلة أسماء المواضع والأشخاص فيها ، وهى ظاهرة ليست طبيعية فى قصائد الشعر العربى المبكرة ، زادت كفة الشك فى صحة نسبة هذه اللامية إلى الشنفرى فى الرجحان .

وقد نتساءل بعد هذا : ما السر فى تلك العناية الغريبة التى لقيتها هذه

---

(١) Krenkow; The Ency. of Islam, Art. Al-Shanfara.

(٢) ٢١/١٣٤ — ١٤٣ .

(٣) ١٨/٢٠٩ — ٢١٨ .

(٤) انظر فى شرح ابن الأنبارى على المفضليات (ط بيروت) تعليق الأستاذ Lyall على البيت الأخير من التائية (ص ٢٠٧) .

(٥) The Ency. of Islam, Art. Al. Shanfara,

اللامية حتى تؤلّف فيها تلك الشروح الكثيرة المتعددة[١] ، وحتى يحرص الغربيون على ترجمتها إلى لغاتهم[٢] ؟

الذى يبدو لى أن سر إقبال الشراح العرب عليها هو أنهم وجدوا فيها مادة لغوية طيبة ، ثم أخذت المسألة تصبح لوناً من التقليد والتنافس بين الشراح ، أما الغربيون فقد وجدوا فيها صورة متقنة لحياة الأعراب فى الجزيرة العربية ، فكان اهتمامهم بها لغرض اجتماعى ، كما كان اهتمام العرب بها لغرض لغوى .

والحق يقال إن خلفاً قد صور حياة صعاليك العرب فى هذه اللامية تصويراً رائعاً ممتازاً ، حتى ليصح أن تكون مصدراً من مصادر دراسة حياتهم الاجتماعية . والأمر الذى لاشك فيه هو أن خلفاً قد تمثل أولا حياة صعاليك العرب وخصائص شعرهم الفنية ، ثم مضى يصور هذه الحياة وهذا الفن فى قصيدة رائعة ، حاول ما استطاع أن يجعلها صورة صادقة لما عَرَفَ عن شعرهم وأخبارهم، حتى ليصح أن نطلق عليها لا « لامية العرب » وإنما « لامية الصعاليك » أو « دنيا صعاليك » .

---

(١) انظر فهرس دار الكتب المصرية فى شروح هذه اللامية التى تبلغ أكثر من عشرين شرحا .

(٢) انظر The Ency. of Islam, art. Al-Shanfara.